

الأسس الاجتماعية للتربية

تخضع المجتمعات الإنسانية في الوقت الحاضر لكثير من التغيير والتطور- سرعة ومدى- بما لم يسبق أن مارسته في أية فترة من فترات التاريخ الإنساني هذه التغيرات والتطورات التي شملت كل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي فرضت نفسها على قيم الأفراد وسلوكهم، وعلى المؤسسات الاجتماعية المختلفة فارتفعت بها- أو تحاول ذلك - شكلا ومحتوى- إلى مستوى المسؤولية لمقابلة التحديات والمطالب التي تفرضها هذه التغيرات والتطورات.

والمدرسة مؤسسة اجتماعية أساسية تمثل جزءاً هاماً من المجتمع الذي تعيش فيه تتأثر به مستجيبة للمطالب التي تفرضها قيم المجتمع عليها ، بعد شخصيات الصغار وتشكلها للمعيشة في المجتمع والمساهمة في حياته.

وظيفة المؤسسات الاجتماعية :

تقوم المؤسسات الاجتماعية بوظائف مختلفة في المجتمع منها انها تيسر العمل بالنسبة للفرد اذ انها تنتظم عددا كبيرا من المظاهر السلوكية في نمط واحد متكامل وفي حدود هذه المظاهر السلوكية المختلفة التي تكون كلا معقدا ينتقل الفرد من مستوى الى اخر متجها الى هدف معين يتطلع الى تحقيقه وهذا الكل المعقد يتكون من عناصر ثقافية كثيرة معقدة تكون رغم ذلك كلا متكاملا يقوم بوظيفته عادة بطريقة آليه ليوافق الاخطار المختلفة في سرعه وسهولة .

وتعمل المؤسسات الاجتماعية كوسيلة للسيطرة الاجتماعية فاذا كنت هذه المؤسسات الاجتماعية المختلفة في المجتمع تشكل كلا متحدا منسجما كما تشاهده في بعض المجتمعات الراكدة فان حياة الفرد تتعرض لاقبل الضغط من المؤسسات الاجتماعية ، فالاسره تنسجم داخل المؤسسات الاقتصادية مثلا والمؤسسات الدينية وغيرها اي انها لا تتصارع مع بعضها البعض وبذلك لا يشعر الفرد بأية ضغوط أو توترات قد تكون نتيجة عدم الاتساق بين المؤسسات المختلفة .

والمؤسسات الاجتماعية تحدد مركز الفرد الاجتماعي والدور الذي يقوم به على انها من ناحية اخرى تصيبه بالاحباط وخيبة الامل .فالافراد يخلقون

المؤسسات ولكن هذه المؤسسات تبقى بعد ان يكون الافراد قد ماتوا وبذلك تتخذ هذه المؤسسات طابعا جامدا غير متعلق بحياة الافراد .وهذا الدوام والاستقرار هو اساس السيطرة الاجتماعية .

ومعنى هذا ان للمؤسسات الاجتماعية وظيفة هامه اساسيه وهي انها تعمل على انسجام الفرد في الاطار الثقافي العام انسجاما يؤدي الى تكيفه والى حسن قيامه بمناشطه المختلفه كفرد في مجتمع معين.

المدرسة مؤسسة اجتماعية:

المدرسة مؤسسة اجتماعية انشأها المجتمع لتقابل حاجة من حاجاته الاساسية وهي تطبيع أفرادة تطبيعا اجتماعيا يجعل منهم أعضاء صالحين في المجتمع ، والمؤسسات الاجتماعية هي انماط اجتماعية تكون السلوك السائد للأفراد للقيام بالوظائف الاجتماعية الاساسية ، هذه الوظائف تشمل مولد الطفل و تطبيع وتدريب الافراد العمل لكسب العيش والسيطرة الاجتماعية على افراد المجتمع والعلاقة بين الفرد والقوى العلوية .

الجمود الاجتماعي :

على أن كثيرا من الناس- ومن بينهم كثير من المدرسين - ينظرون إلى الأوضاع القائمة في المدارس على أنها مستمرة ويجب ألا تتغير وهم يتساءلون دائما : لماذا هذا التغيير في نظام التعليم وقوانينه ولوائحه؟ لقد تعلمنا في الماضي في المدرسة وسلطنا طريقنا ونجحنا في الحياة، وتعلم المدرسون مادة تخصصهم ونالوا شهادة تعترف فيها الدولة لهم بهذا التخصص. وهم بهذا كله يحاولون أن يعزلوا المدرسة عن التطورات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، ناظرين إلى المدرسة نظرة ضيقة تنحصر بين حدود مادتهم العملية التي تخصصوا فيها. وهنا يبرز سؤال هام خاص بعمل المدرسة: مداه وأهدافه. هل يجب على المدرسة أن تحذر نفسها وتقتصر أهدافها على نقل أنواع المعارف والمهارات إلى التلميذ؟ أم أنها يجب أن تتعدى هذه الأهداف الضيقة لتعنى بتشكيل تخصصات تلاميذها سلوكا واتجاهات وعادات وقيما؟ وفي الحالة الأولى ما هي أنواع المعارف والمهارات التي تحتل الأهمية العظمى؟ وفي الحالة الثانية ما هو نوع الشخصية الإنسانية الذي تعمل على تشكيله؟

التربية عملية تطبيع اجتماعي:

يندرج كل طفل انساني في مجتمع متكون بالفعل وينشئ علاقات مع افراد آخرين لهم عاداتهم وتقاليدهم وانماط سلوكهم وطرق قيامهم بالاعمال المختلفة ونظرتهم الى الامور ومشاعرهم واحساساتهم ويندرج الطفل الانساني في المجتمع ولديه صفاته البيولوجية هذه الصفات التي يندرج فيها مع غيره من الاطفال وهذا لايعني ان الاطفال يتكونون بنفس الطريقة فلا يوجد فردان اثنان ينموان بطريقة واحدة هذا الطفل الفريد بذاته يفرض مطالبه على المجتمع كما يفرض المجتمع مطالبة عليه وبهذا يبدأ باتخاذ مكان له في المجتمع .

وتتمشى مع عملية التطبيع الاجتماعي عملية اخرى لا تقل اهمية عنها اذ يصبح الفرد حاملا للثقافة اي طابع معين من الثقافة وعملية التفاعل بين الافراد من التأثير والتأثر ينشأ عنها شيان هاما هما
١/ الشخصية الفردية ٢/ الحضارة الانسانية

التربية تبدأ بقصة تشكيل الفرد الانساني والانتقال به من فرد بيولوجي الى فرد له شخصيته يستطيع ان يسهم في مجتمعه وان ينقل ثقافته والتربية من ناحية اخرى تعني بعملية التشكيل الانساني للوليد البشري ذلك لان السلوك الانساني سلوك مكتسب اي انه سلوك يتعلمه الفرد بتعامله مع افراد المجتمع

المجتمع والتربية :

لقد اختلف المفكرون والفلاسفة في تحديد علاقة التربية بالمجتمع، فمنهم من رأى (أرسطو) بان التربية هي الوسيلة الوحيدة لاستقرار المجتمع وأنظمتها وقيمه وأوضاعه الاجتماعية بينما رأى فريق آخر (أفلاطون) ان التربية وسيلة لإصلاح المجتمع وتحسينه وتقديمه وتطوره. فلو تأملنا في تاريخ الشعوب لعلمنا كم التربية لعبت دورا هاما في حياتها، مثل الحضارة البابلية والمصرية والصينية والفينيقية، حيث أضافت إليها روائع الفكر الجديد، فاهتم الاثينيون بالتطور الفكري، واعتنوا بتربية الإنسان، وجعلوا التربية همهم الأول، حيث أخرجت أثينا نخبة الأساتذة العقل البشري والفلاسفة الخالدين الذي اثروا في العلوم الإنسانية.

وفي اسبرطة لعبت التربية دورا حيويا في بناء المجتمع والذي لا يزال يعتبر نموذجا للتربية التي تميزت بطابعها العسكري ونظامها التربوي الانتقائي الصارم. حيث عملت مجتمع متين موحد وقوي في مواجهة أقسى الظروف.

أما أثينا فقد عملت على تربية الفرد وركزت على قوة شخصيته لمواجهة أصعب الظروف، وقد حرصت التربية عند الرومان على تخريج أجيال مدربين على فنون القتال والحرب.

حتى التربية الحديثة في بناء المجتمعات الحديثة، هذا ما تفعله الأمم، وهذا ما فعلته التربية الإسرائيلية، حتى أعدت دولتها، قامت ببناء مجتمع حربي مستعدا دائما للقتال، عن طريق التربية.

وفي اليابان نموذج رائع بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، ببناء مجتمع قوي ومتحضر صناعي، يحمل المسؤولية في جميع الاتجاهات، وقد لعبت التربية دورا بارزا في هذه الحضارة.

وتطبيقا لذلك نشأت الأمة والدولة العربية الإسلامية وتطورت ظروف انتشار القوة العربية تحت لواء الرسالة الإسلامية في مواجهة التحدي الخارجي، بفضل الإنسان العربي المسلم الجديد الذي أصر الرسول على توفير التربية الجيدة له حتى يصوغه أولا قبل الإقدام على نشر الدعوة الإسلامية. إلى أن بدا الوهن والضياع يدب في هذا القوم نتيجة بعدهم عن التربية الإسلامية الصحيحة. ومن هنا نرى كيف التربية لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما وأساسيا في بناء الإنسان والمجتمع وتطويرهما قديما وحديثا..

وهكذا فان التربية تستطيع تحقيق ذلك باعتبار أنها وظيفة اجتماعية تتفاعل مع مجتمعها تأثرا فيه، وخاصة إذا ما استطاعت العمل على :

١ - إحداث تنمية اجتماعية حقيقية داخل المجتمع العربي، بمواجهة التخلف، وتحدي حضاري شامل ومتكامل.

٢ - إن إحداث تنمية اجتماعية شاملة داخل المجتمع العربي تستوجب من التربية تنمية القدرة العربية من الموارد والطاقات الذاتية وحدها على مواجهة التحديات.

٣ - إن إعداد الإنسان العربي الذي يمثل الثروة الحقيقية إعدادا حضاريا متميزا سيظل يمثل حجر الأساس في عملية بناء المجتمع العربي المستقبلي، وهذا يتطلب من التربية جهدا واعيا ودورا كبيرا لتحقيقه فكرا وتطبيقا.

٤ - أن تعمل التربية على جعل الوعي العلمي فكرا ومنهجاً وتطبيقاً أساسه في الحياة العامة، داخل المجتمع العربي، وذلك من خلال تطوير البحث العلمي وتشجيع مؤسساته واستيعاب كل منجزاته والإسهام في تحقيق أهدافه.

٥- منح المرأة العربية كل فرص التعليم المتكافئة باعتبارها تمثل المجتمع.

٦- جعل التخطيط التربوي أساساً ومنهجاً دائماً لربط أهداف التربية وبرامجها ومناهجها بحاجات المجتمع من القوى العاملة والمهارات اللازمة لبنائه وتطويره.

التغير الاجتماعي والمدرسة :

إذا كانت المدرسة جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الذي نعيش فيه فإن دراسة الثقافة تساعد المدرس على إدراك طبيعة التغير الاجتماعي وعلاقته بالمدرسة فالتغير الاجتماعي هو تغير ثقافي أي تغير النظام الثقافي للمجتمع من معتقدات وأفكار وتقاليد وخبرات - خاصة إذا كانت شاملة متسمة - تخلق الكثير من المشكلات وتفرض الكثير من المطالب وتقدم الكثير من التحديات لأولئك الذين يعملون في الميدان التعليمي ... وهكذا يكون تكوين الحساسية الاجتماعية من أهم مميزات المدرس الناجح.

التغير الاجتماعي والتغير التربوي :

قد يتساءل الكثير من المدرسين عن الفائدة من دراسة الأسس الاجتماعية للتربية. أليست هذه الدراسة من ميادين التخصص لأولئك العلماء الذين يقومون بتدريسها في الجامعة؟ لا يكفي أن أعرف المادة التي أدرسها وأن أدفع عجلة المدرسة كل يوم وكل شهر حتى ينتهي العام الدراسي ليبدأ عام آخر؟ إن المدرس مواطن وإنسان وكذلك التلميذ. وهاتان الصفتان الأخيرتان تقومان على أبعاد اجتماعية وفلسفية لا بد للمدرس أن يبحث عنها دارساً ومنقياً وفاهماً ومحللاً حتى لا ينعزل عن المجتمع وعن أحداثه، وعن الإنسانية ومفاهيمها الأساسية.

إن التغيرات الجذرية السريعة التي تحدث في مجتمعنا العربي تستدعي من المدرسين مناقشة التنظيمات المدرسية في حدود هذا الإطار الإيديولوجي الجديد، وتحليلاً للإطار الاجتماعي الكبير الذي تعيش فيه المدرسة، ومناقشة للأنماط التربوية السائدة، ومدى ملاءمتها لأنواع التعليم اللازمة للمواطن العربي الجديد.

إن مناقشة التنظيمات المدرسية والتربوية بصفة عامة في ظل التحديات والمطالب التي يفرضها المجتمع في تطوره وتغييره، من أهم ما يميز المدرس الناجح. فالعملية التربوية لا تقتصر على نقل المعلومات والمعارف للتلميذ، وإن كان الهدف جزءاً

هاما منها ولكن العملية التربوية مادتها فرد في مجتمع بكل ما يتضمنه مفهوم الفرد ومفهوم المجتمع وبكل أبعادهما.

إن التغيير المادي الذي يحدث في المجتمع لا بد له لكي يحقق نتائج تغيير في القيم والعادات والسلوك وهذا التغيير لا يتأتى إلا عن طريق التربية، فهي التي تكسب السلوك وتعده وتنمطه، وهي التي تشكل الشخصية الإنسانية التي تتفق مع القيم والاتجاهات الجديدة.

لذلك كله تفرض التغييرات الاجتماعية مطالبها على المدرسة في صورته وأكثر من هذه الصور الثلاث :

أولا : قد يكون التغيير في النظام المدرسي أو في السياسة التعليمية بصفة عامة لمقابلة حاجة اجتماعية أو حلا لمشكلة اجتماعية، أحس بها القائمون على هذا المجتمع وشعروا بأن البرنامج المدرسي يستطيع أن يسهم في حلها. مثال ذلك الحاجة إلى عمال مهرة على قدر من الثقافة العامة إلى جانب المهارات المهنية اللازمة، وحلا لهذه المشكلة استطاعت مراكز التدريب المهني ومدارسه أن تخرج الأعداد اللازمة للقطاعات المختلفة في حدود ما خصص لها في الميزانية. فإذا استطاع المدرس أن يحسن تقويم المطالب الاجتماعية التي تستدعي تغييرا في المدرسة ونظامها وبرامجها كان عليه أن يدرس الميادين الرئيسية للمشكلات الاجتماعية في مجتمعنا المعاصر.

ثانيا: قد يكون التغيير التربوي نتيجة الإحساس بأن هناك قيما في المجتمع يجب المحافظة عليها، وأن هناك قيما أخرى جديدة لم تتحقق بعد، وأن هناك قيما تعمل المدرسة على تحقيقها وتعارض في أسسها مع ما يرنو المجتمع الجديد إلى تحقيقه من قيم واتجاهات جديدة.

مثال ذلك أننا نحس في مجتمعنا العربي في هذه الفترة الحاسمة من تغييره أن القيم الدينية يجب أن نحافظ عليها، وأن نعمل على الإبقاء عليها وتنميتها، ونحس أيضا أن هناك قيما اشتراكية لم نستطع أن نحققها بعد في سلوك الأفراد، فما زالت البيروقراطية مثلا مهيمنة على دواوين الحكومة ومصالحها المختلفة، وما زال النقد الذاتي بعيدين عن مستوى التطبيق العملي في بعض المجالات.

ولكي يستطيع المدرس إدراك هذا التغيير كنهه ومداه وإمكانياته كان عليه أن يدرس المجتمع العربي في أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والإيديولوجية ودور العملية التربوية في هذا السبيل.

ثالثا : قد يحدث التغير التربوي نتيجة لظهور معارف جديدة لم تدخل إلى الميدان التطبيقي في المدرسة بعد، وقد تسهم في حل كثير من المشكلات التي تعترض سبيل المدرسة والمجتمع، أو لظهور مهارات جديدة يحتاجها المواطن في المجتمع الجديد.

ولا شك أن هذه الصورة الأخيرة تتطلب تخصصا في شؤون التربية والتعليم أعلى من مستوى المدرس العادي، وإن كان إحساسه بها له أكبر الأثر في مساعدة التخصص على معالجتها وتحقيقها.

وعلى هذا الأساس كان على المدرس أن يفهم المطالب الاجتماعية التي تفرض تحدياتها على المدرسة، وأن يناقشها ويقومها، وهو في سبيل تحقيق ذلك يحتاج إلى ثلاثة أنواع من المعرفة والحساسية.

أولا : علم بالمعارف التربوية السائدة، وبالمعارف الاجتماعية التربوية الجديدة التي لم تطبق بعد في الميدان التربوي المهني في المدرسة، والتي يحتاجها هذا الميدان وهو في سبيل تطويره وتغييره، مع إحساس بهذه المعارف.

ثانيا: معرفة ووعي وحساسية بالمشكلات الاجتماعية الأساسية في المجتمع العربي المعاصر، والتي تفرض تحدياتها على المدرسة.

ثالثا: معرفة وحساسية وتقدير للقيم الأساسية في المجتمع، وخاصة القيم الاشتراكية الديمقراطية التي تحتاج إلى المدرسة وإلى العملية التربوية في سبيل تحقيقها وتدعيمها.

مفهوم الأسس الاجتماعية :

هي القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع المنهج وتنفيذه وتمثل في التراث الثقافي للمجتمع والقيم والمبادئ التي تسوده والحاجات والمشكلات التي يهدف إلى حلها والأهداف التي يحرص على تحقيقها. وهذه القوى تشكل ملامح الفلسفة الاجتماعية أو النظام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات وفي ضوءها تحدد فلسفة التربية التي بدورها تحدد محتوى المنهج وتنظيمه وإستراتيجيات التدريس والوسائل والأنشطة التي تعمل كلها في إطار متسق لبلوغ الأهداف الاجتماعية المرغوب في تحقيقها

وهذه القوى تشكل ملامح الفلسفة الاجتماعية أو النظام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات، وفي ضوءها تحدد فلسفة التربية التي بدورها تحدد محتوى المنهج وتنظيمه وإستراتيجيات التدريس والوسائل والأنشطة التي تعمل كلها في إطار متسق لبلوغ الأهداف الاجتماعية المرغوب في تحقيقها.

فدور المنهج هو أن يعكس مقومات الفلسفة الاجتماعية يحولها إلى سلوك يمارسه التلاميذ بما يتفق مع متطلبات الحياة في المجتمع بجوانبها المختلفة، ولما كانت المدرسة بطبيعتها نشأتها مؤسسة اجتماعية أقامها المجتمع من أجل استمراره وإعداد الأفراد للقيام بمسؤولياتهم فيه، فمن الطبيعي تتأثر بالمجتمع والظروف المحيطة به. ومعنى ذلك أن القوى الاجتماعية التي يعكسها منهج ما في مدرسة ما إنما هي تعبير عن المجتمع في مرحلة ما، ولذلك تختلف المناهج من حيث الشكل والمنطق من مجتمع لآخر تبعاً لتباين تلك القوى.

١ - تمكين المتعلم العربي من فهم ذاته الاجتماعية، وفهم وطنه العربي وديناميكية تطوره، ومشاكله وتحدياته الاجتماعية بموضوعية وواقعية ونظرة متفائلة، وفي سياق ذلك تمكين المتعلم العربي من فهم أسرته وبيئته المحلية متدرجاً لفهم وطنه والعالم، مع تنمية القدرة لفهم الحضارات والمجتمعات الأخرى في العالم، ومع تأكيد الإحساس بالانتماء للآخرين وقبول اختلافهم وخصوصياتهم الثقافية والتعامل الإيجابي معهم .

٢ - تأكيد بناء قدرات ومهارات اجتماعية من أهمها :

- تنمية الاتجاه الاجتماعي نحو حب العمل والإخلاص فيه .

- وإدراك ضرورته لحياة الفرد وأسرته ووطنه .

- تنمية الاتجاه الاجتماعي الإيجابي نحو العمل اليدوي والمهني لاكتساب مهاراته الأساسية وضرورته لحياة العصر الحديث .

- تنمية الاتجاه الاجتماعي للاعتماد على النفس والقدرة على العمل مع الآخرين والتعاون معهم لإنجاز هذا العمل.

- خلق الحافز لقبول التغيير والتجديد الاجتماعي في العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي لم تعد تتفق وحياة العصر الحديث أو التي تعيق النمو والتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

- تنمية وتأكيد الاتجاه الاجتماعي لقبول المساواة بين الرجل والمرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية، في إطار من ثوابت وقيم الثقافة العربية الإسلامية الصحيحة، ونبذ النظرة إلى المرأة على أنها أقل مكانة من الرجل.

٣ - تطوير إستراتيجية التربية العربية بما يحقق تأكيد المبادئ الآتية:

- تكوين إنسان معتز بأنه عربي ومسلم أو مسيحي من أبناء الأمة العربية .

- تكوين إنسان معتز بكرامته وذاته الفردية والاجتماعية .

- تكوين إنسان يقبل الاختلاف الاجتماعي والثقافي ويحترم الآخرين في أسرته ومجتمعه والعالم، وله القدرة على التعايش والتعامل معهم بروح إيجابية بناءة .

والمدرسة مؤسسة اجتماعية أساسية تمثل جزءا هاما من المجتمع الذي تعيش فيه، تتأثر به، مستجيبة للمطالب التي تفرضها قيم المجتمع عليها، بعد شخصيات الصغار وتشكلها للمعيشة في المجتمع والمساهمة في حياته.

ولقد أنشأ المجتمع المدرسة لكي تعد الجيل الصغير للاشتراك في المنشط الإنسانية التي تسود حياة الجماعة وللتكيف معها، وللإحساس بالأمن والطمأنينة في رحابها، ولذلك فشخصية المدرسة تتحدد بأبعادها بأبعاد المجتمع الذي تخدمه.

ولا يقتصر عمل المدرسة على إعداد الجيل الصغير للاشتراك في حياة الجماعة والتكيف معها، ولكن هذا الإعداد يتضمن أيضا القدرة على تجديد هذه الحياة وعلى تطعيمها بالدم الجديد، الذي يبعث فيها الحركة والنمو.

وعلى هذا الأساس تستجيب المدرسة لمطالب التغيير الاجتماعي وتحدياته في المجتمع الذي تعيش فيه، وتعمل في الوقت نفسه على أن تكون رائدة بهذا التغيير الاجتماعي ومبشرة به وموجهة إليه، عن طريق هذا الجيل الصغير الذي تعده وتشكله.

التفاعل الاجتماعي وتكوين الاتجاهات:

التفاعل الاجتماعي يؤدي الى تكوين أنماط سلوكية عامه مشتركة بين الجميع اذ ينتج عن التفاعل تكوين الاتجاهات العامة نحو الآخرين، فنحن نعلم أننا نميل الى الاستجابة للآخرين لا على اساس ما يقولونه وما يفعلونه بل على اساس شعورنا نحوهم كأشخاص .

المرجع //

كتاب الأسس الاجتماعية للتربية

تأليف :

الدكتور .. محمد لبيب النجحي